وفي سطح الناووس من اعلاهُ خمس كتابات تنتهي كلُّها بهاتين اللفظتين « رعمسيس المحبي »

هذا ما بقي سليماً من آثار صان. وليس الباقي كما سبق القول الّا كسرًا وشقفًا لا يُتركّب منها نصبٌ كامل (لهُ بقيَّة)

أَقدم شعر عند العرب

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

اطلعني بعض الاصدقاء على المجلّد التاسع من مجلّة الهلال. وبينما كنت اتصفّحهُ وقعتُ فيهِ على مقالةٍ لصاحب المجلة في أُميَّة بن ابي الصلت وقد افتتح ترجمة هذا الشاعر الجاهليّ بلمعة عن حالة العرَب واغتنم قُبيل الاسلام فقال حرسهُ الله (عن الهلال ٩ : ٤٥١):

« لم يَمُرّ بجزيرة العرب على عهد الجاهلية عصر خصّ فيهِ العرب مثل خصّتهم في القرن السادس للميلاد. وهو القرن الذي تقدَّم ظهور الاسلام. وكانوا قُبَيْل ذلك غارقين في الجهالة والخمول لا يعرفون غير الغزو والقتل. وخصوصاً في بلاد الحجاز فاننا لم نسمع فيها قبل ذلك القرن الّا ببضعة شعراء ولم يكونوا مجيدين. فاشعر شعراء الجاهليَّة نبغوا في القرن السادس وما بعدهُ. ويؤخذ من مراجعة تراجم اولئك الشعراء ان الشعر العربي زَهَا اولًا في اليمن ثم في الحجاز ونَجْد لانَّ اقدم من وصل الينا اخبارهم انَّما هم من اليمن كالبرَّاق ولَبيْلى العفيفة وكلاهما من اهل القرن الخامس وهما اقدم شعراء الجاهلية » انتهى المقصود من ايرادهِ

قلنا: لا نعلم على ما يدعم حضرة منشيء الهلال كلامهُ في قولهِ الاخير: « ويؤخذ من مراجعة . . . الخ » فان كان زعمهُ هذا منقولًا عن أُدباء الافرنج فاننا قد بحثنا في كتبهم التي بايدينا لنتدبَّر صحَّة القول فلم نتوفَّق الى العثور على ما عثر ولعلَّ السبب في ذلك قلَّة الاسفار الافرنجيَّة التي بايدينا. الّا انَّنا وان سلَّمنا ان المؤلف اخذ كلامهُ عن الافرنج فانهُ لا يخلو من مغامز وليس كل ما يقولهُ هؤلاء الباحثون يكون بمعزل عن الانتقاد. امَّا اذا كان كلامهُ مأخوذًا عن كتبة العرب فان هؤلاء لسان واحد على مخالفتهِ. وقد رأينا غير مرَّة ان حضرة صاحب الهلال كثيرًا ما يقع على بعض الامور

قد جاءت او نُقلت عن بعض الافراد او العشائر او القبائل من الناطقين بالضاد فيطلقها على العرب كلهم اجمعين. ولنا على ذلك شواهد جمة في جميع ما كتب عن اخلاق العرب وعوائدهم وآدابهم ولغتهم الى آخر ما هُناك. وهذا امر جلل في مثل هذا الموضوع وذلك لان القارئ الغير الواقف على تاريخ العرب اذا ما طالع لاوَّل مرَّة تلك الأقوال يتمكَّن فيهِ الوَهم ولا يعود الى اصلاحهِ سبيل او يُصلَح بشقّ النفس لان ذهن المرء اشبه شيء بارض مهيَّأة للزرع فالذي يثبت فيها وينتحل لنفسهِ منهـا قواها هو البذر الاوَّل فاذا بُذِر فيها بذرٌ ثانٍ جاء ضعيفاً نحيفاً. ويكون الوهمُ أثبت في النفس وأعلق بها وانشب اذا ما اسند الكاتب مزاعمهُ الى احد الكتبة الأقدمين فهناك تكون البليَّة العظمى. ولو رجع القارئ الى مساند الكاتب الاوَّل وتدبَّر مقالهُ يجدهُ منحصراً في رجلٍ واحدٍ او قبيلةٍ واحدة او ما كان من هذا القبيل لا عن العرب كلهم

ولعلَّ السبب الذي استزلَّ حضرة الكاتب المجيد في موضوعنا الحالي وقوفهُ على «كتاب شعراء النصرانيَّة» لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي فلمَّا طالع عصور تراجم اولئك الشعراء رأى اقدمهم في التاريخ البرَّاق وليلى العفيفة وهما من اهل اليمن فاستنتج تلك النتائج. ومهما يكن من سبب استدراجهِ الى الزلل فان كلامهُ هذا لا يوافق ما نصَّ عليهِ العرب «ان اعتمدنا على ما نقلوهُ الينا وصدَّقنا ما اوردوهُ لنا». فلقد وصل الينا شعر اقدم عهداً من شعر البرَّاق وليلى. وهو وان كان قليلاً الَّا انهُ يدلُّنا على ان الشعر بلغ مداهُ الأقصى من التهذيب والتصحيح منذ القرون العريقة في القدم. وكل ذلك اذا ما حكمنا على انَّ ما نقلوهُ الينا «هو حقيقةً من شعرهم ونظمهم». الَّا اننا نقول من الآن إنَّ «جُلَّ» ما نقلوهُ الينا إنْ لَمْ يكن «كلُّهُ» هو مصوغ وليس فيهِ من الحقيقة مثقال ذرَّة او مقدارها. وعليهِ فلا يمكننا ابداً ان نعرف اوَّل شعر قديم انتهى الينا ولا اوَّل قبيلة نطقت بالعربي الفصيح على صورتهِ الحالية ولا في اي بلدٍ كان ذلك طالما نستند على كُتب العرب التي بايدينا لغويةً كانت او تاريخيَّة لأننا اذا عرضنا اقوالهم على نار الانتقاد فلا نراها تصبر عليها هُنيهةً من الزمان ولعلَّ الاكتشافات الأثريَّة توضح لنا هذه المسئلة على توالي الأيام

اما كون العرب قد نقلوا الينا شعراً اقدم عهداً على شعري البرَّاق وليلى العفيفة

فقد بلغنا من شعر الزبّاء التي نبغت في القرن الثالث للمسيح . ومن نظمها (على زعمهم) :

ما للجِمال مَشيُها وئيدا اجندلًا يَحْمِلنَ ام حديدا
ام صرَفَانًا تارِزًا شديدا

(عن مجمع الامثال للميداني ١ : ١٥٩)

وقد جاءنا من شعر مَلك بن فَهم وهو اوّل من تملّك على تَنوخ في العراق نحو سنة ١٩٥ ب م من ذلك قولهُ لقاتلهِ :

جزاني لا جزاهُ اللهُ خيرًا سُلَيْمَةُ انَّهُ شرًّا جزاني
أُعلِّمهُ الرماية كل يوم فلمَّا اشتدَّ ساعدُهُ رماني

(عن مجاني الادب ٣ : ٣٠٤)

وقد وصلنا ايضًا من نظم الجرادتين او قُلِ الاصحّ من نظم معاوية بن بكر احد العماليق في عهد هُود (وهو عاش على ما ذكرهُ ابو الفداء وابن الأثير وابن خلدون وجمهور المفسّرين ومؤرّخي العرب بعد نوح وقبل ابرهيم الخليل وانت تعلم ان ابرهيم عاش سنة ٢٠١٦ ق م. فيكون وصلنا شعر عربيّ من ذلك العهد !!!). وهذا ما انشدتهُ الجرادتان:

اَلا يا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ لعلَّ اللهَ يبعثها غماما
فيسقي ارض عاد انَّ عادًا قدَ أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو لها الشيخَ الكبيرَ ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهُمُ بخيرٍ فقد امست نساؤهُمُ أيامى
وان الوحش ياتيهم جهارًا ولا يخشى لعاديّ سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركمُ وليلكمُ التماما
فقُبِّح وفدكم من وفد قومٍ ولا لقوُا التحية والسلاما

ولو اردنا ان نشبع الكلام في هذا الموضوع ونذكر ما جاء من الاشعار العربيّة قبل المسيح لملأنا كتابًا قائمًا براسهِ ولذكرنا ابياتًا من نظم الحارث بن مضاض الاصغر الجرهميّ. ومن نظم شدّاد بن عاد ومن شعر واحدٍ عاش في عهد النبيّ صالح (المسعودي في مروج الذهب المطبوع على حواشي نفح الطيب ١ : ٥٣٦) ومن نظم واحد كان في ايّام النبيّ بَرَخيا (المسعودي ٢ : ٣٧). بل وقد بلغنا نظم من جميع آباء الامم والقبائل العربيّة البائدة اي من شعر يعرب بن قحطان وعاد بن عوص وثمود بن

عابر وغيرهم (راجع في هذا الصدد المسعودي ٢ : ١٤ الى آخر ص ٣٨) . الّا انّنا نُحيلهم على مطالعة كتب مؤرخي العرب ولُغَوِيّيهم وعلى من عُني بهذا البحث

هذا واغرب الغرائب واعجب العجائب انهُ بلغنا ايضاً من نظم آدم ابي البشر نفسهِ وهذا منتهى ما افضى اليهِ بحثنا وفيهِ مُنتهى الاختلاق ايضاً قال المسعودي (في حواشي نفح الطيب ١ : ٣٦) ما نصُّهُ : « وقد استفاض في الناس شعرٌ يعزونهُ الى آدم قالهُ حين حزن على ولدهِ واسف على فقدهِ وهو :

تغيّرت البلاد ومن عليها فوجهُ الارض مُغبرٌّ قبيحُ
تغيّر كل ذي لونٍ وطعم وقلّ بشاشة الوجه الصبيح
وبدّل اهلها خمطاً واثلاً بجنات من الفردوس فيحُ
وجاورنا عدوٌّ ليس ينسى لعينٌ لا يموت فنستريحُ
وقتّل قابيلٌ هابيل ظلماً فوا أسفاً على الوجهِ المليح
فما لي لا اجود بسكب دمع وهابيل تضمّنهُ الضريحُ
ارى طول الحياة عليّ غمّاً وما انا من حياتي مستريحُ

والظاهر انّ هذه الابيات قديمة وترتقي على الاقلّ الى صدر الاسلام ولنا على ذلك ثلاثة ادلّة . (الاوّل) : شهادة جماعة من مؤرخي العرب . قال المسعوديّ في اثر ايرادهِ تلك الابيات ما نصُّهُ : « ووجدتُ في عدة من كُتب التواريخ والسير والانساب ان آدم لمّا نطق بهذا الشعر اجابهُ ابليس من حيث يسمع صوتهُ ولا يرى شخصَهُ . . . ». فقولهُ : « ووجدتُ . . . الخ » . يدلُّ على ان جماعة من المؤرّخين أوردوا هذه الرواية — (والثاني) : ما حُكي عن القاضي ابي سعيد السيرافي انهُ قال : حضرت في مجلس ابي بكر ابن دُرَيد ولم اكن قبلَ ذلك رأيتهُ فجلستُ في ذيلهِ فانشد احدُ الحاضرين بيتين يُعزَيان الى آدم عم قالهما لمّا قتَلَ ابنهُ قابيلُ (قاين) هابيلَ وهُما :

تغيّرت البلاد ومن عليها فوجهُ الارض مُغبرٌّ قبيحُ
تغيّر كلُّ ذي حسنٍ وطيبٍ وقلّ بشاشةُ الوجهِ المليحِ

فقال ابو بكر : هذا الشعر قد قيل في صدر الدنيا وجاء فيهِ الإقواء . فقلتُ : انّ لهُ وجهاً يُخرِجُهُ عن الاقواء . فقال : ما هو ؟ . قلتُ : نَصْب « بشاشة » وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين لا للاضافة فتكون بهذا التقدير نكرةً منتصبةً على التمييز ثم رفع الوجهِ وصفتهِ باسناد « قلّ » اليهِ فيصير اللفظ : « وقلّ بشاشةَ ألوجهُ ألمليحُ » . فقال :

ارتفعْ . فرفعني حتى اقعدني الى جنبهِ . اه (نقلًا عن ابن الشجريّ) — (والثالث) ما اوردهُ ابن الأثير في الكامل (١ : ١٦) قال : روى العلماء عن عليّ بن ابي طالب ان آدم قال لمَّا قُتل هابيل : . . . (البيتان كما اوردهما المسعوديُّ) . فهـذا يدلُّك على ان هذا الشعر كان معروفًا في عهد عليّ ابن ابي طالب

وعندنا ان اقدم شعر انتهى الينا هو نظم زرقاء اليمامة اذا اعتمدنا على ما نقلهُ لنا العرب . وهذا القليل انتهى الينا مصحفًا محرَّفًا ايضًا قال ياقوت في معجم البلدان في مادة يمامة في كلامهِ عن الزرقاء ما حرفهُ :

« ولمَّا نزل بجديس ما نزل قالتْ لهم زرقاء اليمامة : كيف رأيتم قولي ؟ وانشأت تقول :

خذوا خذوا حذركم يا قوم ينفعكم فليس ما قد أرى مِلْ أمرِ (١ مُحْتَقَرُ
اني أرى شجرًا من خلفها بشرٌ لأمرِ اجتمع الاقوامُ والشَّجرُ

(قال ياقوت) : وهي من ابياتٍ ركيكة . اه . قُلنا : لم يُعتدَّ بتلك الابيات فلم يوردوها ظنًّا منهم انَّها ركيكة وهي ليست كذلك . الَّا انَّها لمَّا كانت من لغة عرب اليمامة وكانت تختلف كثيرًا عن لغة قُريش اعتُبرت ركيكةً اعني بالنسبـة الى لغة قُريش . واما في حدّ ذاتها فهي ليست كذلك . وهذا السبب عينهُ هو الذي اقعـدنا لغات العرب الأقدمين لانها لم تشاكل لغـة قُريش . وما يُقال انهُ من لغات العرب المنقرضين فانهُ جاءنا محرَّفًا مصبوبًا بقالب لغة قُريش . ولنا على ذلك ادلَّة كثيرة لعلَّنا نعود الى ذكرها في مقالة ثانية . والله أعلم

الطائفة الكلدانيَّة والكنيسة الرومانيَّة

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

ما برحت الأمَّة الكلدانيَّة منذ دخول الدين المسيحي فيها حتى الآن تعتقد برئاسة بطرس وتخلُف الاحبار الرومانيين لهُ في رئاسة الكنيسة كلها . وقد رسخت هذه الحقيقة

١) مِل الأمر اي مِن الأمر او للأمر